

في وداع الساجد الراحل

(قيلت هذه القصيدة في وفاة الوالد حسن أمين الحارّازي إمام وخطيب مسجد الفوز في مسيك بصنعاء وأحد الدعاة المجاهدين ولا أزكيه على الله تعالى ، وهو والد زوجتي الأخيرة ، توفي في ٢٢ محرم ١٤٢٠هـ وهو ساجد في الركعة الثالثة من صلاة العصر أثناء إمامته بالناس في مسجد الفوز رحمه الله)

الْمَجْدُ يَطْلُبُ لِلرَّحِيلِ أَمَاجِدًا يَا مَاجِدًا لَأَقِيتَ رَبَّكَ سَاجِدًا
لَأَقِيتَ رَبَّكَ فِي الصَّلَاةِ تَوْمُهُم وَتَفَرَّقَ الْجَمْعُ الْمُشَاهِدُ شَاهِدًا
تَاللَّهِ مَا هَذَا الْخِتَامُ بِوَارِدٍ إِلَّا لِسِرِّ كَانَتْ ثَمَّةً وَارِدًا
لِلَّهِ وَجْهٌ كَ وَالْعِبَادَةُ نُورُهُ وَلَئِذَاكَ ظَنَّنِي مَا أُرَانِي مُبْعِدًا
وَإِحَالٌ^١ وَجْهَ الْبَدْرِ وَجْهَكَ حَوْلَهُ مَصْبُوغَةٌ^٢ كَالشَّمْسِ شَعَّتْ عَسْجِدًا^٣
وَعِمَامَةٌ كَعِمَامَةِ الْبَدْرِ التِّي زَادَتْهُ حُسْنًا بَلْ غَدَتْ بِكَ أَزِيدًا^٤
يَنْعَى لَنَا (الْفَوْزُ) الْحَزِينُ إِمَامَهُ وَكَذَا الْمَآثِرُ وَالْمَنَابِرُ وَالصَّدَى^٥
تَبْكِي السَّمَاءُ الصَّالِحِينَ وَمِثْلَهَا تَبْكِي الْبَسِيطَةَ^٦ حُرْقَةً وَتَفْقُدًا

١ إخال: أظن .

٢ مَصْبُوغَةٌ : أي لحيته مصبوغة بالحناء الأحمر .

٣ عَسْجِدًا : العَسْجِدُ هو الذهب .

٤ أي غَدَتْ عِمَامَتِكَ فوق وجهك أَزِيدٌ حُسْنًا من حُسْنِ الْعِمَامَةِ حَوْلَ الْبَدْرِ .

٥ الصَّدَى : أي صدى الخطب في المساجد والمواعظ والدروس .

٦ البسيطة : الأرض .

وَمُسَارِعٍ فِي الْخَيْرِ يَخْدُمُ جَارَهُ
 لَمْ يَشْهَدْ الْجِيرَانَ مِثْلَكَ فِي النَّدَى^١
 سَمَحاً سَلِيمَ الصَّدْرِ يَسْكُنُ ضَيْفُهُ
 فِي الْقَلْبِ لَا فِي الدَّارِ يَغْتَنِمُ الْمَدَى^٢
 وَإِذَا الضَّعِيفُ أَتَى إِلَيْهِ رَأَيْتَهُ
 يَغْدُو لِسَاناً لِلضَّعِيفِ وَسَاعِداً^٣
 وَلَعُ بِحُبِّ الصَّالِحِينَ وَدَأْبُهُ
 يَزْجِي الدُّعَاءَ مَعَ الْوَلَاءِ مُجَدِّداً^٤
 وَلَكُمْ يَرَى فِيكَ الْخَلِيلُ مُنَاصِحاً
 أَوْ مُرْشِداً فَطِناً^٥ يَرَاكَ وَرَاشِداً
 مَا زِلْتَ فِي الْأَسْحَارِ^٦ نِضْواً^٧ قَانِئاً
 وَإِلَى الْجَمَاعَةِ رَغْمَ سُقْمِكَ^٨ جَاهِداً
 وَتَطُوفُ فِي تِلْكَ الْمَسَاجِدِ دَاعِياً
 وَحَمَلْتَ فِي الْحَقِّ السَّلَاحَ مُجَاهِداً
 أَخْجَلْتَ مِنْ أَهْلِ الْعُلُومِ عُلُومَهُمْ
 وَالْعَالِمِ السُّكَّيْتُ^٩ مَقْبَرَةَ الْهُدَى
 أَضْحَى لَكَ السَّفَرُ الدَّوُوبُ^{١٠} مَطِيَّةً^{١١}
 وَتَرَكَتَ فِيهَا رَاكِعِينَ وَسُجَّداً^{١٢}

١ النَّدَى : الكرم .
 ٢ الْمَدَى : المسافة ، أي يَغْتَنِمُ الضيفُ المساحة الواسعة في قلبه التي هي أوسع من مسافة الدار .
 ٣ يَقِفُ مع الضعيف فيكون لسانه وساعده أي يده .
 ٤ مَوْلَعٌ بِالصَّالِحِينَ ، مُتَابِرٌ فِي دَفْعِ الدُّعَاءِ لَهُمْ وَالْوَلَاءِ مُجَدِّداً مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى .
 ٥ فَطِنًا : ذَكِيًّا .
 ٦ الْأَسْحَارُ : جَمْعُ سَحَرٍ وَهُوَ آخِرُ اللَّيْلِ .
 ٧ نِضْواً : نَحِيفًا مِنَ الْعِبَادَةِ .
 ٨ سُقْمِكَ : مَرَضِكَ .
 ٩ السُّكَّيْتُ : كَثِيرُ السُّكُوتِ عَنِ الْحَقِّ .
 ١٠ الدَّوُوبُ : الْمُتَتَابِعُ .
 ١١ مَطِيَّةٌ : الْمَطِيَّةُ : الْحَيَّوانُ الْمَرْكُوبُ مِثْلُ النَّاقَةِ وَنَحْوِهَا .. أَي صَارَ السَّفَرُ عِنْدَكَ وَسِيلَةً لِلدُّعْوَةِ .
 ١٢ أَي تَرَكَتَ فِيهَا أَنْاسًا قَدْ اسْتَجَابُوا لَكَ فَأَصْبَحُوا مِنَ الْمُصَلِّينَ .

مِنْهُمْ عَدِيدٌ فِي عَزَائِكَ عُودًا^١

قَدْ كُنْتَ لِلْأَرْحَامِ^٢ شَهْمًا سَيِّدًا

مِثْلَ الْأَقَارِبِ مُحْسِنًا مُتَجَرِّدًا^٤

جَمَّ الْفِعَالِ^٦ بِرِغْمِ كَوْنِكَ مُفْرَدًا

لَا يَعْدِلُونَ لَدَى الْمَوَاقِفِ وَاحِدًا

مَنْ يُرْزَقِ التَّوْفِيقَ عَاشَ مُسَدَّدًا^٨

(حَسَنًا أَمِينًا) فِي التَّعَامُلِ أَجْوَدًا^٩

عَبْدًا حَفِيًّا خَافِيًّا^{١٠} مُتَزَهِّدًا

أَحْيَيْتَ بِالْإِيصَاءِ سُنَّةَ أَحْمَدًا

مَنْ يَصْنَعِ الْإِحْسَانَ لَا يَذْهَبُ سُدى

وَلَقَلَّمَا شَاهَدْتُ ذَاكَ الْمَشْهُدَا

لَمْ يَنْسُوا الْفِعْلَ الْجَمِيلَ وَقَدْ أَتَى

قَدْ كُنْتَ لِلْأَبْنَاءِ نَبْرَاسًا كَمَا

وَبَكَكَ بِالذَّمِّ الْهَيْتُونَ^٣ أَبَاعِدُ

رَجُلًا فَرِيدًا فِي الرَّجَالِ كَمَعَشِرِ^٥

وَالنَّاسُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ فِي عَشْرَةٍ^٧

وَالْفَضْلُ بِالتَّوْفِيقِ لَيْسَ بِغَيْرِهِ

قَدْ كُنْتَ كَأَسْمِكَ مَا نَظُنُّ وَصَالِحًا

وَمَضَيْتَ فِي الْأَيَّامِ سَهْلًا رَاضِيًا

أَوْصَيْتَ أَهْلَكَ لَا تُقَامُ مَاتِمًا^{١١}

وَجَرَتْ بِمَوْتِكَ عِبْرَةٌ وَعِبَارَةٌ :

قَدْ وَدَّعَ الْجَمْعُ الْكَبِيرُ فَقِيْدَهُ

١ عُودًا : جمع عائد أي زائر

٢ لِلْأَرْحَامِ : للأقارب .

٣ الْهَيْتُونَ : الغزير .

٤ مُتَجَرِّدًا : التجرد هو الإخلاص .

٥ كَمَعَشِرٍ : رجلٌ كَعَشْرَةٍ .

٦ جَمَّ الْفِعَالِ : كثير الفعل .

٧ عَشْرَةٌ فِي عَشْرَةٍ : أي مائة .

٨ مُسَدَّدًا : مُصِيبًا فِي الْخَيْرِ .

٩ أَجْوَدًا : كريمًا .

١٠ لَا يُعْجِبُهُ الظُّهُورُ .

١١ الْمَاتِمُ : جمع ماتم وهو النياحة على بُثم الأولاد .

هل أَنْجَزُوا - حاشَا الْمَنِيَّةَ - موعِدًا؟^١

نَهْرًا وَقَصْرًا فِي الْجَنَانِ مُشَيَّدًا^٢

وَتَتَابَعْتَ رَحِمَاتُ رَبِّكَ سَرْمَدًا

حَتَّى تَكُونَ لِمَنْ تَعْقَلَنَ شَاهِدًا^٣

إِنَّ الْهُدَى فِي أَنْ تُطِيعَ مُحَمَّدًا

مَا صِرْتُ ... مَا دَامَ الْمَصِيرُ مُهَدَّدًا

مَوْتًا كَمَوْتِكَ أَوْ أَمُوتَ مُجَاهِدًا

مَا خَابَ عَبْدٌ عِنْدَهُ مَدَّ الْيَدَا

وَالْوَعْدُ بِالْإِسْعَافِ مِمَّنْ وَاعَدُوا

وَلَقَدْ رَأَى الصَّادِقُونَ مُنْعَمًا

لِلَّهِ دَرُكٌ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا

إِنِّي لَأَسْأَلُ هَلْ كَتَبْتَ كَرَامَةً

لَيْسَ الْهُدَى دَعْوَى اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ

أَمَّا أَنَا فَأَنَا الضَّعِيفُ وَلَيْتِي

لَكِنِّي أَرْجُو الْكَرِيمَ بِفَضْلِهِ

وَعَسَاهُ يَرْزُقُنِي الْقَبُولَ فَإِنَّهُ

* * *

١ كانت هنالك وعودٌ له بإسعافه للعلاج من مرض القلب ، ولكنَّ الواعدين لم يُنجزوا ، وأنجزت المنيَّة موعدها لحلول الأجل .

٢ أي في رؤيا منامية .

٣ هل توجد كرامة للعقلانيين تشهد لهم بصواب منهجهم ، كالكرامة لهذا الرجل الذي مات ساجداً فدلَّ ذلك على أن منهجه صوابٌ عند الله ؟ .

٤ ما صيرتُ : أي ما صرت مكلفاً في هذه الحياة .